

الْعَشْرَةَ

٦

الْمَبْسُورِينَ بِالْجَنَّةِ

عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

إِعْكَاد

خالد بن عبد الرحمن السروجي

مكتبة ابن القيم

الْعَشْرَةَ
الْمُبَشِّرُونَ بِالْجَنَّةِ

عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

إِعْدَادُ
خَالِدِ خَازِمِ السُّرُجِيِّ

٣ - عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لَطالَمَا نَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَطْفَالِ قُرَيْشٍ عَلَى أَنْعَامٍ
أُغْنِيَتِهِمُ الْمُحِبَّةِ ، وَالتِي شَاعَتْ عَلَى كُلِّ شَفَةِ ،
وَكُلِّ لِسَانٍ فِي أَرْجَاءِ مَكَّةَ ، وَأَضَحَتْ مَثَلًا فِي الْحُبِّ
الْأَصِيلِ وَالْعَمِيقِ :

أَحِبُّكَ وَالرَّحْمَنُ حُبَّ قُرَيْشٍ عُثْمَانُ

(لَقَدْ كَانَ عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ جَدِيرًا بِهَذَا الْحُبِّ وَأَهْلًا
لَهُ ، فَهُوَ لَطِيفٌ فِي طَبْعِهِ ، رَقِيقٌ فِي شَمَائِلِهِ ، عَرِيقٌ
فِي أَصَالَتِهِ ، جَمَعَ الْمَجْدَ وَالْغِنَى وَالشَّرْفَ ، وَنَأَى
بِنَفْسِهِ عَنِ مَجَالِسِ الْخَمْرِ وَاللَّهْوِ ، فَكَانَ زَهْرَةً بَيْنَ
فَتِيانِ قُرَيْشٍ تَفُوحُ بِرِيحِهَا الطَّيِّبِ أَيْنَمَا حَلَّتْ أَوْ

ازْتَحَلَّتْ . فَقَدْ شَبَّ الْفَتَى عَلَى الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ ،
وَالسَّيْرَةِ الْحَسَنَةِ ، فَاِمْتَلَأَ طَبْعُهُ بِالْحَيَاءِ وَالْعِفَّةِ .

وُلِدَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فِي بَيْتِ فَسِيحٍ وَجَمِيلٍ
بِمَدِينَةِ «الطَّائِفِ» ، جَنَّةِ الْحِجَازِ وَرَوْضَتِهِ ، وَبِهَا نَشَأَ
وَتَرَعْرَعَ ، وَمِنْ لَطِيفِ هَوَائِهَا تَنْشَقُّ ، وَمِنْ عَبِيرِ
أَزْهَارِهَا تَنْسَمُ ، فَرَقَّتْ شَمَائِلُهُ ، وَلَطْفَ طَبْعُهُ .

اسْمُهُ وَنَسَبُهُ

هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ
عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ
مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ ، الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ .
كَانَتْ وِلَادَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنْ
عَامِ الْفِيلِ ، وَسُمِّيَ بِذِي النُّورَيْنِ لِأَنَّهُ تَزَوَّجَ رُقِيَّةَ
بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَمَاتَتْ عِنْدَهُ ، فَزَوَّجَهُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَهَا أُخْتَهَا أُمَّ كُلثُومَ .

إِسْلَامُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى

ازْتَحَلَّتْ . فَقَدْ شَبَّ الْفَتَى عَلَى الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ ،
وَالسَّيْرَةِ الْحَسَنَةِ ، فَامْتَلَأَ طَبْعُهُ بِالْحَيَاءِ وَالْعِقَّةِ .

وُلِدَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فِي بَيْتٍ فَسِيحٍ وَجَمِيلٍ
بِمَدِينَةِ «الطَّائِفِ» ، جَنَّةِ الْحِجَازِ وَرَوْضَتِهِ ، وَبِهَا نَشَأَ
وَتَرَعَّرَعَ ، وَمِنْ لَطِيفِ هَوَائِهَا تَنَشَّقَ ، وَمِنْ عَبِيرِ
أَزْهَارِهَا تَنْسَمُ ، فَرَقَّتْ شَمَائِلُهُ ، وَكَلَّفَ طَبْعُهُ .

اسْمُهُ وَنَسَبُهُ

هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ
عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ
مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ ، الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ .
كَانَتْ وِلَادَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنْ
عَامِ الْفِيلِ ، وَسُمِّيَ بِذِي التُّورَيْنِ لِأَنَّهُ تَزَوَّجَ رُقَيْيَةَ
بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَمَاتَتْ عِنْدَهُ ، فَزَوَّجَهُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَهَا أُخْتَهَا أُمَّ كُلثُومِ .

إِسْلَامُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى

الإسلام ، فَقَدْ أَسْلَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَبْلَ دُخُولِ
رَسُولِ اللهِ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ ، إِذْ دَعَاهُ صَدِيقُهُ أَبُو بَكْرٍ
إِلَى دِينِ التَّوْحِيدِ ، فَلَمْ يَتَرَدَّدْ ، وَسُرْعَانَ مَا نَطَقَ
بِالشَّهَادَتَيْنِ وَانضَمَّ إِلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، ثُمَّ
خَطَبَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ابْنَتَهُ
رُقَيْيَةَ فزَوَّجَهُ ﷺ إياها .

لَمْ تَكُنْ مَسِيرَةً حَيَاةِ عُثْمَانَ سَهْلَةً بَعْدَ انضمامِهِ
إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَدْ كَانَ عَمُّهُ
الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ رَجُلًا عَنِيفًا وَفَطًّا
غَلِيظَ الْقَلْبِ ، وَلَمَّا سَمِعَ بِإِسْلَامِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ
عَنْهُ ، أَخَذَهُ فَأَوْثَقَهُ رِبَاطًا ، وَقَالَ لَهُ فِي عُنفٍ
وِغِلْظَةٍ : أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ إِلَى دِينِ
مُحَدَّثٍ؟ وَاللَّهِ لَا أَحُلُّ رِبَاطَكَ أَبَدًا حَتَّى تَدَعَ مَا أَنْتَ
عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ .

فَقَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : يَا عَمُّ وَاللَّهِ لَا أَدْعُهُ
أَبَدًا ، وَلَا أُفَارِقُهُ .

فلما رأى الحَكَمُ صَلَابَةَ ابنِ أخيه ، وإِصرارَهُ
على دينِهِ - وكان عُثْمَانُ مَحْبُوباً لَدَى أَعْمَامِهِ وَأَهْلِهِ
وذَوِيهِ وَأَهْلِ مَكَّةَ جَمِيعاً - تَرَكَهُ وَشَأْنَهُ .

(صاحبُ الهِجْرَتَيْنِ)

ازْدَادَ أَدَى الْمُشْرِكِينَ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ
لِلْمُسْلِمِينَ ، وكانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِعَدَمِ
الدَّفْعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، مما زادَ في بَطْشِ قُرَيْشٍ
وَطُغْيَانِهَا ، وَلَمْ تَكُنْ حَالُ الدَّعْوَةِ في بدايتها تَسْمَحُ
بِالاشْتِباكِ مع الكُفَّارِ ، فَالدَّعْوَةُ الإِسْلامِيَّةُ لا تَزَالُ في
مَهْدِهَا ، وَرِجالُها قلائِلٌ ، مِمَّا فَتَحَ البابَ لِلهجرةِ
إلى الحَبَشَةِ ، فَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضاً مِنْ أَصْحَابِهِ
بِالخروجِ إلى أَرْضِ الحَبَشَةِ ، لأنَّ بها مَلِكاً لا يُظْلَمُ
عِنْدَهُ أَحَدٌ .

فهاجَرَ النَّاسُ خَوْفاً مِنْ أَنْ تَفْتِنَهُمُ قُرَيْشٌ عَنْ
دينِهِمْ وَتُجْبِرَهُمْ على العَوْدَةِ إلى الشُّرْكِ وَعِبَادَةِ
الأَصْنَامِ .

﴿ كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ مِنْ بَيْنِ مَنْ هَاجَرَ فَارًّا
بِدِينِهِ ، وَكَانَتْ بِرِفْقَتِهِ زَوْجَتُهُ رُقِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ .

مَرَّتْ شُهُورٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْمُهَاجِرِينَ فِي
الْحَبَشَةِ يَنْعَمُونَ بِالْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ ، وَيَتَفَرَّغُونَ لِلْعِبَادَةِ ،
بَعْدَ أَنْ تَخَلَّصُوا مِنْ أَذَى قُرَيْشٍ وَبَطْشِهَا ، وَلَمَّا أَسْلَمَ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَصَلَ الْخَبْرُ إِلَى
الْمُهَاجِرِينَ ، فَفَرِحُوا لِقُوفِهِ إِلَى صَفِّ الْمُسْلِمِينَ
وَلِدْفَاعِهِ عَنْهُمْ ، ثُمَّ بَدؤُوا رِحْلَةَ الْعُودَةِ إِلَى أَوْطَانِهِمْ .

﴿ تَفَاجَأَ الْمُهَاجِرُونَ لَدَى وُصُولِهِمْ إِلَى مَكَّةَ ،
عِنْدَمَا رَأَوْا أَنَّ شَيْئًا لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْ عِنَادِ الْمُشْرِكِينَ
لِلْمُسْلِمِينَ ، وَإِزْعَاجِهِمْ ، وَالتَّأْمُرِ ضِدَّهُمْ مَا اسْتَطَاعُوا
إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا ، فَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ
بِالْخُرُوجِ مَرَّةً ثَانِيَةً إِلَى الْحَبَشَةِ ، وَكَانَ عُثْمَانُ مِنْ
بَيْنِ مَنْ أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْهَجْرَةِ ، وَبِذَلِكَ سُمِّيَ
عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبَ الْهَجْرَتَيْنِ .

(إِلَى يَثْرِبِ)

لَمَّا أذِنَ اللهُ لِرَسُولِهِ وَأَصْحَابِهِ بِالهِجْرَةِ إِلَى يَثْرِبِ ، بَادَرَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الْهِجْرَةِ ، وَتَرَكَ خَلْفَهُ مَالاً كَثِيراً وَمَتَاعاً ، غَيْرَ آسِفٍ وَلَا نَادِمٍ عَلَى حُطَامِ الدُّنْيَا الزَّائِلِ ، فَالْعَقِيدَةُ أَعْلَى وَأَثْمَنُ مِنْ كُلِّ مَالٍ وَمَتَاعٍ .

«فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ شَمَّرَ عُمَانُ عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ ، وَدَخَلَ التَّاجِرُ الصَّدُوقُ سُوقَ الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ لَهُ الْفَلَاحُ وَالنَّجَاحُ .»

(حَيَاءُ عُمَانَ)

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مُضْطَجِعاً فِي بَيْتِهِ وَقَدْ انْكَشَفَ جِزءٌ مِنْ سَاقِهِ ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَتَحَدَّثَ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَانُ ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَوَى

ثيابه ، فدخلَ فتحدّثَ . فلما خرجَ قالتْ عائشةُ
رضي الله عنها :

يا رسولَ اللهِ دخلَ أبو بكرٍ فلم يُبالِ بهِ . .

ثم دخلَ عمرُ فلم يُبالِ بهِ . .

ثم دخلَ عثمانُ فجلستْ وسوّيتْ ثيابك . . !!

فقال ﷺ : «ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه

الملائكةُ»

(بئُرُ رُومَة)

(لَمَّا قَدِمَ المَهاجِرُونَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ كانَ

النَّاسُ يَشْتَرُونَ المَاءَ مِنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، وكانَ

لَهُ عَيْنٌ يُقالُ لها «بِئُرُ رُومَة» ، فما كانَ من عُثمانِ إلا

أَنِ اشترى هذه البِئْرَ بِخَمْسَةِ وِثلاثينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، ثم

أهداها لِلْمُسلِمِينَ .)

(يَوْمُ العُسْرَةِ)

عَلِمَ رَسولُ اللهِ ﷺ أَنَّ نَصارَى العَرَبِ قَدْ جَمَعُوا

حُشودَهُمْ مَعَ جُنْدِ الرُّومِ لِمُحَارَبَتِهِ ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ
يُجَهِّزُوا أَنْفُسَهُمْ لِعَزْوِ الرُّومِ ، وَحَضَّ النَّاسَ عَلَى
التَّبَرُّعِ فَقَالَ ﷺ لِأَصْحَابِهِ يَحْضُهُمْ عَلَى الصَّدَقَةِ : « مَنْ
يُنْفِقُ الْيَوْمَ نَفَقَةً مَتَقَبَّلَةً ؟ فَتَبَرَّعَ أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَالِهِ ،
وَتَبَرَّعَ عُمَرُ بِنِصْفِ مَالِهِ ، أَمَا عُثْمَانُ فَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ ثَلَاثُمِئَةٌ بَعِيرٍ مُجَهَّزَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،
وَكَانَ ذَلِكَ يُسَاوِي تَجْهِيزَ نِصْفِ الْجَيْشِ ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ » .

ثُمَّ دَعَا لَهُ وَقَالَ : « غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا عُثْمَانُ
مَا أَسْرَرْتَ وَمَا أَعْلَنْتَ ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ » .

﴿ كَرَمُ عُثْمَانَ وَسَخَاؤُهُ ﴾

أَصَابَ الْمَدِينَةَ قَحْطٌ وَفَاقَةٌ وَضَيْقٌ ، وَفِي هَذِهِ
الْأَثْنَاءِ وَصَلَتْ قَافِلَةٌ كَبِيرَةٌ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مُحَمَّلَةً بِالْبَضَائِعِ وَالْخَيْرَاتِ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهَا تُجَّارُ
الْمَدِينَةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عُثْمَانُ فَسَأَلُوهُ أَنْ يَبِيعَهُمْ

القافلة وما فيها من بضائع .

فقال عثمانُ : كم تُربحونني ؟

قالوا : العشرةُ اثني عشرَ ،

قال عثمانُ : قد زادوني ،

قالوا : فالعشرةُ خمسة عشرَ ،

قال : قد زادوني ،

قالوا : من الذي زادك ونحنُ تُجارُ المدينة ؟

قال عثمان : إِنَّهُ اللهُ زادني بِكُلِّ دِرْهَمٍ عَشْرًا ،

فهل لديكم أكثرَ من ذلك ؟

فانصرفَ التُّجارُ عنه . . .

فنادى عثمانُ في النَّاسِ قائلاً : اللَّهُمَّ إِنِّي وَهَبْتُ

هَذِهِ الْقَافِلَةَ لِفُقَرَاءِ الْمَدِينَةِ بِلَا ثَمَنِ وَلَا حِسَابٍ .

خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

اخْتَارَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَبْلَ وَفَاتِهِ سِتَّةَ هُمْ أَهْلُ

الشُّورَى الَّذِينَ تُوفِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ ،

وجعلَ عليهمَ عبدَ الرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ يَخْتَارُ من بَيْنِهِمْ
خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَهُمْ: عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ،
وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ ،
وَعُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ ، وَطَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَسَعْدُ بنُ
أبي وَقَّاصٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

وَتَمَّتِ البَيْعَةُ لِعُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ لِيُصْبِحَ ثَالِثَ
الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَفِي أَثْنَاءِ خِلَافَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَالَّتِي اسْتَمَرَّتْ اثْنِي عَشَرَ عَامًا عَمَّ الخَيْرِ وَالْأَمْنِ ،
وَأَسَّعَتْ رُقْعَةَ الدَّوْلَةِ ، وَتَوَعَّلَتْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ
فِي خُرَاسَانَ ، وَسَمَحَ عُثْمَانُ لِمُعَاوِيَةَ بِغَزْوِ قُبْرُصَ
سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، فَرَكِبَ الْبَحْرَ بِالْجُيُوشِ ، وَكَانَ
مَعَهُمْ عَبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ وَزَوْجَتُهُ أُمُّ حَرَامٍ بِنْتُ
مَلْحَانَ الْأَنْصَارِيَّةِ .

وَفِي نَفْسِ الْعَامِ عَزَلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
عَمْرَوَ بنَ الْعَاصِ عَنِ مِصْرَ ، وَوَلَّى عَلَيْهَا عَبْدَ اللَّهِ بنَ
سَعْدِ بنِ أَبِي السَّرْحِ ، فَغَزَا إِفْرِيقِيَةَ وَفَتَحَهَا سَهْلًا
وَجَبَلًا ، ثُمَّ تَوَالَتْ أَنْتِصَارَاتُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْبَحْرِ ،

حَتَّى أَصْبَحَتِ الدَّوْلَةُ الإِسْلَامِيَّةُ دَوْلَةً بَحْرِيَّةً .

وَمِنْ مَآثِرِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ التَّوَسُّعَةُ الَّتِي
أَجْرَاهَا فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ حَيْثُ قَامَ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ
مِنَ الْحِجَارَةِ الْمُنْقُوشَةِ ، وَجَعَلَ أَعْمِدَتَهُ مِنْ حِجَارَةٍ ،
وَسَقَفَهُ .

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ فُتِحَتْ بِلَادٌ كَثِيرَةٌ أَشْهَرُهَا
نَيْسَابُورُ ، وَمَرْوُ ، وَبَيْهَقُ .

وَلَمَّا فُتِحَتْ هَذِهِ الْبِلَادُ كُلُّهَا كَثُرَ الْخَرَاجُ ، وَجَاءَ
الْمَالُ وَفِيْرًا إِلَى خَزَائِنِ الْخَلِيفَةِ ، حَتَّى كَانَ عُثْمَانُ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَأْمُرُ لِلرَّجُلِ بِمِائَاتِ الْأُلوْفِ مِنَ
الْأَمْوَالِ .

﴿فِي الْفَتْرَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ خِلَافَةِ عُثْمَانَ بَدَأَتْ
الْمَتَاعِبُ ، فَقَدْ كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَجُلًا لَيِّنًا
عَطُوفًا ، يُعْطِي لِصَلَةِ الْأَرْحَامِ الْإِهْتِمَامَ الْكَبِيرَ ،
وَيُحِبُّ قَوْمَهُ ، وَقَدْ وُلِيَ بَنِي أُمَّيَّةَ الْكَثِيرَ مِنْ
الْمَنَاصِبِ ، الْأَمْرَ الَّذِي كَرِهَهُ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ،

حَتَّى أَصْبَحَتْ الدَّوْلَةُ الإِسْلَامِيَّةُ دَوْلَةً بَحْرِيَّةً .

وَمِنْ مَآثِرِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ التَّوَسُّعَةُ الَّتِي
أَجْرَاهَا فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ حَيْثُ قَامَ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ
مِنَ الْحِجَارَةِ الْمُنْقُوشَةِ ، وَجَعَلَ أَعْمِدَتَهُ مِنْ حِجَارَةٍ ،
وَسَقَفَهُ .

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ فُتِحَتْ بِلَادٌ كَثِيرَةٌ أَشْهَرُهَا
نَيْسَابُورُ ، وَمَرْوُ ، وَبَيْهَقُ .

وَلَمَّا فُتِحَتْ هَذِهِ الْبِلَادُ كُلُّهَا كَثُرَ الْخَرَاجُ ، وَجَاءَ
الْمَالُ وَفِيْرًا إِلَى خَزَائِنِ الْخَلِيفَةِ ، حَتَّى كَانَ عُثْمَانُ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَأْمُرُ لِلرَّجُلِ بِمِائَاتِ الْأُلوْفِ مِنَ
الْأَمْوَالِ .

﴿فِي الْفَتْرَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ خِلَافَةِ عُثْمَانَ بَدَأَتْ
الْمَتَاعِبُ ، فَقَدْ كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَجُلًا لَيِّنًا
عَطُوفًا ، يُعْطِي لِصَلَةِ الْأَرْحَامِ الْإِهْتِمَامَ الْكَبِيرَ ،
وَيُحِبُّ قَوْمَهُ ، وَقَدْ وُلِّيَ بَنِي أُمَّيَّةَ الْكَثِيرَ مِنَ
الْمَنَاصِبِ ، الْأَمْرَ الَّذِي كَرِهَهُ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ،

وكانَ هذا الأمرُ فيما بَعْدُ مِنْ أَحَدِ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَدَّتْ
إِلَى فِتْنَةٍ كَادَتْ تُودِي بِحَيَاةِ الْأُمَّةِ بِأَجْمَعِهَا ، وَكَانَتْ
دَرْسًا بَلِيغًا لِلْمُسْلِمِينَ حَتَّى لَا يَدُبَّ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ .

كَثُرَ عَدُوُّ الْمُعْتَرِضِينَ عَلَى وُلاةِ عُثْمَانَ ، وَجَاءَ
مِنْ مِصْرَ وَفَدُّ كَبِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَشْكُونَ لِلْخَلِيفَةِ وَلايَةِ
أَبِي السَّرْحِ وَظُلْمَهُ ، فَاسْتَجَابَ عُثْمَانُ لِلِقَوْمِ وَقَالَ
لَهُمْ : اخْتَارُوا رَجُلًا أَوْلِيَهُ عَلَيْكُمْ مَكَانَهُ .

فَأَشَارَ النَّاسُ عَلَيْهِ بِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، فَكَتَبَ
عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَهْدًا وَوَلَّاهُ ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ عَدُوُّ
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَفِي الطَّرِيقِ التَّقَى الْقَوْمُ
بِغُلَامِ أَسْوَدَ عَلَى بَعِيرٍ وَمَعَهُ كِتَابٌ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
إِلَى أَبِي السَّرْحِ عَامِلِ مِصْرَ وَفِيهِ : « إِذَا أَتَاكَ مُحَمَّدٌ
وَفَلَانٌ وَفَلَانٌ فَاحْتَلْ فِي قَتْلِهِمْ ، وَأَبْطَلْ كِتَابَهُ ، وَقُرَّ
عَلَى عَمَلِكَ حَتَّى يَأْتِيكَ رَأْيِي . . . » .

عَادَ الرَّجَالُ غَاظِبِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَسْتَوْضِحُونَ
الْأَمْرَ ، فَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الَّذِي كَتَبَ هَذَا الْكِتَابَ هُوَ

مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، فَطَلَبَ هَؤُلَاءِ الرَّجَالَ مَرْوَانَ بْنَ
الْحَكَمِ الَّذِي تَأَمَّرَ ضِدَّهُمْ ، وَكَانَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ
فِي دَارِ عُثْمَانَ ، فَرَفَضَ تَسْلِيمَهُ إِلَيْهِمْ رَأْفَةً بِهِ .

فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ ازْدَادَ عِدْدُ الْمُتَوَافِدِينَ مِنْ شَتَّى
الْأَقْطَارِ بِدَعْوَةٍ مِنَ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْ عُثْمَانَ ، وَبَدَؤُوا
يُطَالِبُونَ بِعَزْلِ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ ، وَكَانَتْ بَدْؤُ الْفِتْنَةِ
قَدْ اشْتَعَلَتْ وَاخْتَلَطَتِ الْأُمُورُ ، وَطَلَبَ كَثِيرٌ مِنَ
الصَّحَابَةِ مِنْ عُثْمَانَ أَنْ يُقَاتِلَ الْقَوْمَ وَيُخْرِجَهُمْ مِنْ
الْمَدِينَةِ ، وَلَكِنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ لَهُ رَأْيٌ
آخَرَ ، فَهُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَسْفِكَ دَمَ الْمُسْلِمِينَ ، بَعْدَ أَنْ
عَصَمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ ذَلِكَ ،
فَهُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَتَحَمَّلَ وِزْرَ هَذِهِ
الدَّمَاءِ .

فَمَا كَانَ مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا أَنْ تَسَلَّقُوا دَارَ الْخَلِيفَةِ
عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ صَائِمًا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ،
فَقَتَلُوهُ . . . فَسَالَتْ دِمَاؤُهُ الزَّكِيَّةُ عَلَى جَسَدِهِ ،

وَسَقَطَتْ عَلَى صَفْحَاتِ الْكِتَابِ ، وَفَاضَتْ رُوحَهُ
الزَّكِيَّةُ إِلَى بَارِيهَا .

دُفِنَ عُثْمَانُ فِي ثِيَابِهِ بِدَمَائِهِ فِي الْبَقِيعِ سَنَةَ خَمْسٍ
وِثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ ، وَكَانَ عُمُرُهُ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عِنْدَمَا سَمِعَ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ :

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنْتِ عَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ
وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا
يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ٩] .

قَالَ ابْنُ عُمَرَ : إِنَّهُ عُثْمَانُ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ
وَحَشَرْنَا فِي زُمْرَتِهِ وَأَمَاتَنَا عَلَى سُنَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِ .

رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ فِي أَحَدِ اللَّيَالِي وَكَانَ يَدْعُو
وَيَقُولُ : «اللَّهُمَّ عُثْمَانُ رَضِيْتُ عَنْهُ ، فَارْضَ عَنْهُ» .

رَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ ، مَا ضَرَّهُ مَا فَعَلَ هَوْلَاءِ ، فَإِنَّ
رُوحَهُ تُحَلَّقُ فِي الْجَنَّةِ مَعَ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ الَّذِينَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ .

* * *